



عندما تقلل قطارات الدم من تلك العيون البراقة تكون قد بلغت ما بلغت من حرقة الألم والأسى وقد تفاصفتها الأهوال وضربتها المحن فتهطل قطارات الدم ساخنة كالجمر لترق ذاك الوجه الحزين وترسم عليه تلك الأحاديد المحترقة ...
نعم إن الدم لن يغير من الواقع شيئاً لكن قد يكون العزاء الوحيد في لحظات القهقهة والضعف.

كم شاهدت هذا المنظر في بلادي مؤخراً وكم لاحظت تلك الأحاديد قد حفرت مجرى ملتهباً لها على وجوه أخواتي كم تأملت وجههن بتلك الابتسامة الصفراء التي تخفي خلفها مأسى الأهوال التي مرت أمام هذه المقل تبتسم أمامي قائلة الحمد لله بصوت تخنقه دمعة تحاول منعها من أن تنهمر.

نظرت إلى أسماء بثغر مبتسماً ومقلتين لامعتان بالدموع وقالت سوف ننتصر، بعون الله سوف ننتصر...
كاد قلبي ينفطر أسى على الفتاة ذات العشرين ربيعاً تنظر إلى نظرة تنطق بما فيها كففت دموعها وقالت مبتسمة لا أعلم ماذا دخل بعيني قالت هذا مع أنني لم أسألاها عن دمعها نظرت إلى وجهها وقد اختلطت فيه تعابير الحزن مع محاولة إخفائها للدموع وابتسمة بالكاد تتمكن من إظهارها قالت لها وقد خانتني عيناي فلم أمسك دمعتي ...

نعم أختاه سنتنصر إن شاء الله .

تكرر يومياً مثل هذه المواقف في بلادي وأكثر ما يربكني نظرة من امرأة مسنة فقدت ابنها وهي واقفة تخطبني بكلام الواثق بنصر قريب من الله دون أن يرتجف لها جفن وتعطني بعضاً من النصائح التي يحفرها صوتها وتعبرات وجهها في مخيلتي فلا أكاد أنسى تلك النصائح ما حبيت وانظر لنفسي فأشعر بقزم ما أفعل وقلة ما أقدم وأعلم حينها أنني مهما فعل وعملت فلن أصل إلى معشار تلك المسنة فإنها تمتلك من الصبر والجلد الذي من الله بهما عليها الكثير.
وغالباً ما أودعها وأستدير وأنا أحس بقوة كبيرة تدخل لذاتي تدفعني للمضي أكثر في دروب الجهاد.